إلاَّ تَنصُروه

فقد نَصَره الله

كتبه

ياسِر برُهامي

عفا اللهُ عنه







رقم الإيداع : ٢٣٣٢٤ / ٢٠٠٦

دار الخلفاء الراشدين
ج. م. ع - الإسكندرية - حي الرمل
ش منشية الزهراء - أبو سليمان
٠١٠٦٧١٤٧٦٨/٠١٠٥٠١٣١٥١

دار الفتح الإسلامي
الإسكندرية - مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١٠٥٠١٣١٥١/٠١٠٧٣٨٢٧٨٢

الشركة الفنية للطباعة
ت : ٧٧٧١٠٣٩ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ

وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم **أما بعد**:

قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

اعلم أخا الإسلام أن دين الله ﷻ لا يحتاج إلى أحد، واعلم أن نصرة الدين شرف لك، كما أنها واجب عليك ولا يقف نصر دين الله على جهاد المجاهدين وبذل الباذلين، ذلك بأن الله تعالى هو الذي تولى نصر دينه، لا يعجزه ﷻ الذين كفروا ولا يسبقونه، وقد تكفل ﷻ بنصر دينه ورسوله وعباده المؤمنين غير أنك لا تكون ملتزمًا بهذا

الدين حتى تكون من أوليائه وحزبه وممن يعمل في نصرته وإعلاء كلمته ، فعملك لنصرة الدين لنفسك أولًا .

فكلمة الله هي العليا ، بذل الناس نفوسهم وأموالهم لإعلائها أم لم يبذلوا ، فالله ﷻ جعلها هي العليا : ﴿ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ﴾ على أي حال فلا بد أن تظهر .

وقال تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة : ٤٠] لا بد إذًا أن تبذل وأنت ناظر إلى أن جهدك لا يُتوقف عليه انتصار الإسلام ، فليس اهتمامك بأمر المسلمين وانشغالك بِهَم المؤمنين مدعاة لأن تظن أن الأمر إنما يكون بك أو أن شيئًا منه يعود إليك قصرًا عليك أو على غيرك من إخوانك ، فدين الله ﷻ ظاهر بنا أو بغيرنا ، عزيز منيع ولكن نحن لا عزة لنا ولا منعة إلا به ، ولا نظهر إلا بالإسلام .

والنفقة في سبيل الله ﷻ ماضية بنا أو بغيرنا ولكننا لا نكون إلا بالنفقة ، فخزائن الله ﷻ ملأى والقوة لله جميعًا ، وجنود السماوات والأرض له ﷻ : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الفتح : ٤] ، والكفرة ذرة في عالم المسبحين لله ﷻ : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٤] وشواهد هذا في الكون المحسوس ، وليس فقط في الغيب الذي يؤمن به المؤمنون .

وانظر ما للكافرين من ملك ، وما هو في ملك الله ﷻ الذي له ملك السموات والأرض ، والذي بيده الأمر كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، لتوقن يقينًا تامًا أنهم ذرة في محيط وأقل ، وأن الله ﷻ بيده الأمر كله : ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾ [هود : ١٢٣] ولكن ابتُلينا بهم وابتلوا بنا ، لينظر الله ﷻ كيف نفعل : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ

بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس : ١٤] ، وقال ﷻ : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ [الفرقان : ٢٠] .

فالنصرة للإسلام فرض واجب على كل مسلم ، لأنه ولاء لله ، فالنصرة الواجبة لله هي النصرة لدينه ، والنصرة الواجبة لرسول الله ﷺ هي النصرة لسنته وشريعته ، وما جاء عن النبي ﷺ في العقيدة والعمل والسلوك والأخلاق ، ومنهج الحياة المتكامل الذي لا بد أن يعيش الناس به ليسعدوا في دنياهم وأخراهم .

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢-١٦٣] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ [البقرة : ٢٠٨] ، فليس حد الطاعة أن تكون في نفسك ملتزمًا بها فقط بل لا بد أن تسعى في أن يعبد الناس ربهم ﷻ ، وذلك هو نشر العبودية لله تعالى كما قال ربعي ؓ لرستم : « الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى

عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا الآخرة » .

وقد جعل الله ﷻ عباده المؤمنين أمة وسطًا ليكونوا شهداء على الناس ، ولا تتم هذه الشهادة إلا بتبليغ الحق للناس وإعلاء كلمة الله وإبطال حكم الطاغوت الذي يحجب عن الناس رؤية النور ، هذه مهمتهم في الأرض ، وبعد ذلك : ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف : ٢٩] .

فإذا أيقنت بأن نصر الله قريب ، وأن الله إنما ينصر من ينصره ، وأنه لا محالة معز دينه وناصر رسوله ومستخلف عباده ، فاعمل على أن تكون لبنة صالحة في صرح هذا الدين المتين ، لا حجرًا ملقى لا يأبه له البناؤون ، فهناك من عدّه البناؤون لبنة صالحة ووضعوه في البناء ، وهناك من كانوا أسسًا في تأسيس البناء على مر العصور وهم الذين لا يُسبقون : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] وُلدوا أهلًا لأن يكونوا أسس البناء . فهل أنت تصلح أن تكون لبنة ؟ أم أنك أشبهت اللبنات الصالحة وعندما جُرّبت لم تصلح ، فأُلقيت بجوار البناء الذي يبنى ، أم أنك كنت بعيدًا جدًا لا تنالك أيدي العاملين ، لا بد أن تكون مجتهدًا في إصلاح نفسك ، كي تكون جزءًا من البناء ، ولكي تكون خطوة في طريق النصر وسبيل الرشاد ، ولكي تكون ناصرًا للدين وعاملًا من أجله كجزء من التزامك . فالأعداء يريدونك في حقيقة الأمر متبعًا لهم ، لكنه تدريج حينما يقولون : لا مانع عندنا من التزامك ، نحن لا نحارب الالتزام ولا نحارب الإسلام إنما نحارب الإرهاب والتطرف مثلًا !! كما يقولون ويزعمون ، فإن هذا الزعم خطوة على الطريق فقط ، لأنهم لا يرضون بذلك كما قال ﷻ : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٢٠] هكذا أخبر الله عن

إرادتهم ، فهل ترضى بالتدرج معهم حتى تفقد حقيقة إيمانك وإسلامك ؟! هذه هي المسألة ، إذا قالوا لك : لا دخل لك بغيرك ، واهتم بنفسك ، وامش بجوار الحائط وكن ملتزمًا ، لا نقول لك : لا تصلي ، بل صلّ وصمّ كما تريد ، واذهب إلى الحج والعمرة متى أردت ولكن لا دخل لك بغيرك ، هذه هي القضية ، هذه خطوة على الطريق ، لأنك تفقد نفسك إذا فقدت عملك من أجل الإسلام ، وإذا فقدت سعيك لإعلاء كلمة الله .

وإذا كان الأعداء احتلوا أرضًا واسعة ، فالشياطين أخذت قلوب الملايين واحتلتها وملأتها بالرجس والفساد والكفر والنفاق والفسوق والعصيان والتصورات والإرادات الفاسدة والضلال والغي ، ومحت منها القوة العلمية المبصرة والقوة العملية المحركة ، فصارت القوة المحركة فقط لنيل الشهوات ، وصارت التصورات يغيب عنها الإيمان بالله واليوم الآخر ، حتى صارت خزعبلات

وعقائد فاسدة من تأليه غير الله وعبودية المال والسلطان والوجاهة عند الناس ، وقد قال النبي ﷺ : « **تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخميصة ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش** » (١) ، وتلك نوعية من البشر عجيبة تلك التي احتلتها الأعداء ، فأسرت قلوبها وملأتها بالفساد .

أنت مقصود بأن تُحتل أيضًا ، أنت يراد بك أن يزول منك اعتقادك الصحيح في توحيد الله ، ومحبته ورجائه وشهود الحقائق الواقعية في الكون ، وكما ذكرنا فالإنسان ضعيف جدًا ، والأرض كلها ذرة في هذا الكون الواسع ، والإنسان لا يملك في هذه الأرض إلا أيسر اليسير ولا يملكه ملكًا حقيقيًا ، إنما هو امتلاك عبد مملوك في صورة

---

(١) صحيح : رواه البخاري (١١/ ٦٤٣٥) عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ « تعس عبد الدينار ، والدرهم ، والقطيفة ، والخميصة ، إن أعطي رضي ، وإن لم يعط لم يرض » .

مَلك متصرف ، فهو في الحقيقة لا يملك شيئًا ، فملكوت السموات والأرض لله وحده ولا يقدر على شيء إذ القوة لله جميعًا ، وكم في البحار من قوة أودعها الله فيها ليس شيء منها بأيدينا ، لو أراد أن تخرج على الناس لتغرقهم لخرجت عليهم فأهلكتهم ، فماذا لو فاضت البحار ؟ وماذا لو ذاب جزء من الثلج في القطبين الشمالي والجنوبي ؟ ماذا يُتصور لو أن البحار طغت على الناس ؟ ألا تذكر (تسونامي) ؟ ماذا يُتصور لو أن الريح عتت ؟ ألم يجعل الله لنا آية في قوم عاد ؟! أرسل عليهم ريحًا صرصرًا عاتية : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٧-٨] ؟!

أتظنون أن هذا بعيد ؟! ونحن نسمع كل يوم عن الأعاصير المدمرة والزلازل والبراكين الهائلة ، كم في الأرض من قوة وطاقة ! والله لو أن النمل أخرج طاقته

علينا لهلكنا ، ولو خرج من جحوره إلينا ما تلذذنا بعيش ولا احتملنا الحياة ، قال الله ﷻ : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ ﴾ [الأعراف : ١٣٣] ، فالضفدع هذا المخلوق الضعيف أذل الله به الفراعنة وأقدره عليهم وابتلاهم به حتى إن الرجل منهم كان إذا أراد أن يأكل وجد الضفادع في طعامه ، وإذا أراد أن يشرب وجد الضفادع في شرابه ، وإذا أراد أن يفتح فمه دخل الضفدع في فمه .. حتى فرعون نفسه ، وكان الرجل يغرق في الضفادع .

فلله الأمر في الأولى والآخرة ، وإليه يرجع الأمر كله ، وله ملكوت كل شيء ، وبيده خزائن السموات والأرض .. ينصر دينه ويعز وليه ويذل عدوه ويريدك له في جملة الصالحين مهتديًا بنوره على صراطه المستقيم ..

فهل تريد الدفاع عن نفسك ، إن خير وسائل الدفاع هي الهجوم ، حاول تحرير الأرض والمقصود بها تحرير

قلوب محتلة ، وإنما احتُلت الأرض الظاهرية عندما احتُلت القلوب ، لأن القلوب أصبحت مأوى للفساد من ضلال وعقائد كفرية ـ والعياذ بالله ـ ، انظروا ماذا فعل اليهود عندما أرادوا أن يسيطروا على تفكير العالم ، ظهر لهم دارون يقول : (هذا الكون وجد صدفة) ، وكمجموعة من القرود على آلة كاتبة تكتب أي شيء حتى ظهرت قصيدة رائعة .. فصدقهم الناس .. هذا منهج يدرّس وما زال يدرّس أن الإتقان الظاهر في كل ذرة من ذرات الكون حدث صدفة ، وأن الحياة نشأت هكذا بلا هدف ولا غاية ، وأن المادة أزلية وأبدية لا تفنى ولا تُستحدث ولا تُخلق من عدم ، وأن الإنسان والقرد كانا من أصل واحد ، مع أن هذا التصور باطل قطعًا علميًا ووراثيًا فضلًا عن الدين ، وهو قد مات حقًا مع العلوم الحديثة التي بان منها أن ذرة في كل مخلوق لا بديل عنها ، ولا يتحول الخلق من شيء لآخر فهذا مستحيل .

ونظرية أخرى تقول : إن الكون ليس له غاية إلا المال وصراع الطبقات ودكتاتورية الطبقة العاملة وهي الشيوعية . آلاف الآلاف من الناس قُتلوا من أجل نظريات الشيوعية ، حكمت ثمانين سنة تقريبًا ثم زالت ، ولا يزال يشقى بها قوم آخرون ، وهذه الديمقراطية والعلمانية وغيرها كلها تصورات فاسدة واعتقادات ضالة ، وصار هذا حال الناس لما صارت قلوبهم محتلة لتلك الإرادات الفاسدة : من شهوات ومال ونساء ، فبدلًا من أن تعمر بنور الإيمان ضلت في ظلمة الحسرات وخربت بخزية العصيان .

إذا أنت أردت الدفاع عن نفسك ضد هذه الأفكار ، فكن مهاجمًا لحصون الشيطان التي تحصن بها في قلب هؤلاء الأشخاص ، عند ذلك يحاول أن يشغلك عن العمل من أجل الإسلام ، ويحاول أن يصرفك عن الدعوة والجهاد والبذل وأي شيء ما دمت تهاجمه ، وسوف ينساك

مؤقتًا إلى أن يدخل لك من الباب الخلفي ، وهو أن يجعل عملك هذا لغير الله ، فأنت عندها تعمله رياء وسمعة لكي يقال : جرئ ، ويقال : داعية وعالم ، ويقال : جواد ... وهكذا ، ونعوذ بالله من ذلك .

فالمسألة إذًا خطيرة ، لأن العمل من أجل الإسلام هو أصل لنجاة نفسك ، واعلم أن المحصلة النهائية والنتيجة الحتمية للصراع هو انتصار الإسلام : بذلت أنت أم لم تبذل ، جاهدت أنت أم لم تجاهد ، دعوت أم لم تدعُ ، تعلمت أم لم تتعلم ، جئت إلى المسجد أو ذهبت إلى أماكن الفسق ، تأكد من أن هذا لمصلحتك ولنجاتك ، لا تقل ومن سيسد فراغي ؟ بل تأكد أن غيرك سيسد : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾ [محمد:٣٨] ، لكن الشرف يكون لك أنت ، والمهم كونك صالحًا أو غير صالح ، فالجهاد سوف يتم وفي قدرة الله أن يتم في لحظة ، ولكن هذه الأمور لها أهمية في نفس الإنسان

المؤمن وهو أن يعمل وهو ناظر إلى فضل الله عليه وأن الله الذي منّ وهو الذي وفّق كما قال الصحابة رضي الله عنهم :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا [1]
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

ومن ثمرة ذلك أن تعلم أن الله ينصر من ينصره فكن ممن ينصره حتى يجتبيك ربك ويتفضل عليك فإذا كنت من هؤلاء فإنما كنت منهم منة منه سبحانه فتعرف على صفات ربك بمعرفة تمام عزه وفضله وغناه وتعرف عليه من حال نفسك بمعرفة تمام ضعفها وهوانها وفقرها إليه .

---

(١) صحيح : رواه مسلم (١٨٠٣) من حديث البراء رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل معنا التراب ولقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول :

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا إن الأولى قد أبوا علينا

قال وربما قال :

إن الملأ قد أبوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

ويرفع بها صوته » .

وهذا أمر يحبه الله من عباده حتى يدخلهم به الجنة كما قالوا في الجنة : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف : ٤٣] فلا يظنن أحد أبدًا أن الإسلام ينتظره ، بل الحق بالقطار قبل أن يفوتك ، وهذا شعور ضروري جدًا ، فمن يظن أن الإسلام متوقف عليه فإن عمله هباء ، بل غيرك سيحمل همّ الدين إن لم تحمله أنت ، بل الصحابة إن لم يحملوا همّه فإن الله كان يستبدل قومًا غيرهم ، ولكن وفقهم الله ﷻ لذلك ، هذا الشعور يجعلك تستقل دائمًا عملك ولا تستكثر ، ولا تظن أنك المحور الأساسي ، وهذه نقطة خطيرة جدًا ومدمرة لشخصية الإنسان إذا استشعر أنه محور أساسي وأنه لا أحد غيره ، ويضيق ويحزن إذا وجد منافسة من أحد غيره ، في حين أنه لو كان صادقًا في نصرة الإسلام فإنه يفرح بوجود غيره لأن الناس تستفيد منه ومن غيره ، تجاهد معه وتجاهد مع غيره إذا كان قائدًا مثلًا ، وإذا كان معلمًا فإنه يفرح أن

الناس تتعلم منه وتتعلم من غيره .

عندما أنهى الإمام الشافعي حفظ الموطأ طلب من الإمام مالك أن يأخذ العلم من مكان آخر ، ذهب مالك إلى القافلة ودفع له أجرة الطريق ، ولم يقل له : كيف تتركني وأين تجد أحدًا مثلي ؟! فبلا شك كان الإمام مالك أعلم من أهل العراق ، لذلك السلف عندهم تعديد الشيوخ من المناقب ، ولا يقولون : الزم إمامًا واحدًا ، ولكنهم يتعاونون على الخير .

يجب على الملتزم أن يستقلَّ عمله لكي لا يُدِل على الآخرين ، ولا يمنَّ على الله ، بل يشعر أن الله هو الذي منَّ عليه ، كما ذكر ﷻ الأعراب الذين لديهم نوع من النفاق ، واختلف العلماء هل هو نفاق أكبر أم نفاق أصغر ؟ والراجح أنه نفاق أصغر ، قال ﷻ : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات : ١٧] فأنت حين

تعمل من أجل الإسلام فالله هو الذي منّ عليك ، فإياك أن تمنّ على أحد بأنك تعمل من أجل الإسلام ، إنما هو فضل الله ﷻ عليك واستقل عملك واستصغره ، لأن سيء العمل هو الذي يراه كاملًا ويمن به على غيره ، فهذا وأمثاله لم يكتمل إيمانهم كمسلمي الأعراب الذين قال الله فيهم : ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات : ١٤] ، فهم يقولون : أسلمنا ولم نقاتلك ، فسبحان الله ! الصحابة دائمًا يرون أنفسهم مقصرين ، فالإنسان لو وجد نفسه مقصرًا وعمله صغيرًا وجهده قليلًا فإنه يعمل ، أما إذا رأى أنه قد فعل ما عليه وزيادة فإنه لن يتقدم ولن يبذل المزيد ، ولن يترتب على شعوره ذلك إلا الفساد ـ نعوذ بالله من ذلك ـ وهذا أمر غاية في الأهمية في فهم قضية : من يحمل همَّ الإسلام ، فإذا حملته أنت فهذا فضل الله ﷻ عليك ومنته عليك ، وإياك أن تظن بنفسك الكمال ، وأنت بهذا تكون في الحقيقة تدافع عن نفسك ولو لم تفعل ذلك

لدخل الأعداء عليك ، وهجَمتْ عليك واحتلت القلب ، فملأته بأنواع الإرادات الفاسدة والتصورات الباطلة ، وأنت تدافع عن نفسك حين تدعو غيرك ، وحين تعمل من أجل الإسلام ، وحين تفكر كيف تنصر الدين في كل موطن وبكل ممكن ومستطاع ، وفرض على كل مسلم ومسلمة أن ينصر هذا الدين بكل ممكن ومستطاع وهذا من ضمن التزامه بالإسلام .

فجزء من عمله بالإسلام أن يعمل للإسلام ، وهذا لا يتم إلا لمن كان لبنة صالحة ، يعمل من أجله ويسعى إلى نصرته ، وبهذا يكون صالحًا . فأما من لم يجتهد في إصلاح سلوكه وعمله وعبادته وفي إصلاح قلبه ثم يظن أن يكون جزءًا من البناء ؟ لا يكون ذلك وإنما يعرف هل كان المرء جزءًا من البناء أم لا بعد موته ، ليس بالشهرة ولا بما يبدو للناس في الدنيا ، فكم من أناس كانوا في زمانهم يملؤون الأسماع والأبصار ، ثم تبين عبر التاريخ أنهم ليسوا بهذا

الوزن وعرف هذا بعد موتهم ، حين لحقوا بالدار الآخرة ، وعليك أنت أن تصلح من نفسك فلعلك بإذن الله تعالى أن تكون لبنة صالحة ، ولا يصلح لهذا المقام ولا ينال هذا الفضل إلا سليم القلب الذي أخلص العمل لله ، قال ﷻ عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝٨٧ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٧-٨٩] هذا القلب الذي سلم من الشرك ، وسلم من الحقد والحسد وأمراض القلوب كلها ، وسلم من إرادة غير الله وكان مخلصًا له ﷻ وخالصًا له ﷻ راجيًا له ، محبًا له ، خائفًا منه وحده ، حسن الظن به ، متوكلًا عليه وحده زاهدًا في الدنيا راغبًا فيما عنده ﷻ ، شاكرًا لأنعمه ، صابرًا على بلائه وعلى طاعته وعن معصيته ﷻ ، هذا هو القلب السليم وكما قال النبي ﷺ : « **إن الله لا ينظر إلى أجسامكم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** » [1] . ثم لا بد

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

أن تعلم أنك إذا أصلحت قلبك ولسانك وأصلحت عبادتك ، وأصلحت سلوكك وأخلاقك بالعلم والعمل ، تعلم كل ما يلزمك في هذه الأمور ، وتعمل به ثم تدعو غيرك إلى ذلك ، فإنك لا بد أن تكون مع إخوانك يدًا واحدة ، ولا بد من التعاون على البر والتقوى فإن العمل جليل والواجب عظيم لا يقوم به آحاد الناس وإنما يقوم بنصرة هذا الدين طائفة ، قال النبي ﷺ : « **لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى تقوم الساعة** » .

وقال ﷺ : « **لا تزال عصابة من أمتي تقاتل عن هذا الدين** » ، وقال : « **لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم** » [1] وفي رواية : « **حتى**

---

(١) رواه البخاري عن المغيرة بن شعبة ﷺ مرفوعًا بلفظ « **لا يزال ناس من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون** » ورواه مسلم عن ثوبان مرفوعًا بلفظ « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق** » ورواه أيضًا عن جابر مرفوعًا بلفظ « **لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق إلى يوم القيامة** » ورواه الترمذي =

يقاتل آخرهم الدجال » هم طائفة واحدة وهم أهل المنهج الصحيح ، هم أهل العلم كما فسره البخاري في صحيحه ، وقال الإمام أحمد : « إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أظن غيرهم » ، والمقصود بأهل الحديث الذين يحفظونه ويعملون به وليس مجرد النقل ، وإنما هم فقهاء أهل الحديث وعلماؤهم الذين يطبقونه ويعملون به ، ومنهجهم هو منهج أهل السنة والجماعة ، ومن حيث العمل هم كل طائفة مسلمة تقوم على أمر من أمر الله ﷻ وإن كان الواجب أن يكونوا جميعًا في الأرض كلها ، يُظهرون الخلافة الإسلامية وهذا الأمر إن عجز المسلمون عنه ، وإن قصّر الكثيرون منهم فيه فمن قدر على واجب من الواجبات الشرعية التي من أجلها شرعت الإمامة فيجب

وأحمد عن قرة بن إياس المزني مرفوعًا « **ولا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة** » وبالجملة فالحديث عده جماعة من أهل العلم من الأحاديث المتواترة .

أن يتعاون مع غيره من المسلمين على إقامته امتثالًا لأمر الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة : ٢] فهؤلاء هم المؤهلون لكي يعملوا من أجل الإسلام وينصروه وينصرهم الله ﷻ وينصر دينه على أيديهم ، أما من كانت همته نفسه ، يقيم لها الأمور ويديرها لأجلها ولا تدوم نفسه في طائفة مؤمنة ، فلا بد أن يرى نفسه هو المقدم المذكور وهو على رؤوس الناس وفي صفوفهم الأولى ، فهذا لا يصلح أن يكون ضمن طائفة الإيمان .

وعن أبي هريرة ﷺ قال قال النبي ﷺ : « **طوبى لعبد آخذ بزمام فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفّع** » (١)

---

(١) صحيح : انظر صحيح الجامع (٢٩٦٢) عن أبي هريرة وأول الحديث : « تعس =

تأمل هذا الحديث النبوي الشريف الكريم وتأمل ما أنت عليه « **إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة** » فأن يكون حارسًا على غيره يدل على أن غيره هو المقصود الأهم ، وإن كان في الساقة وهي (مؤخرة الجيش) لا يقول لماذا يضعونني في المؤخرة إنما أنا رأس إنهم يظلمونني وقد حرم الله الظلم ، لا بل كن حيث كلفت والتزم بما أُمرت ، فكم من واجبات قد تركت وثغور قد ضيعت بسبب ذلك ، لا بد أن تحفر لنفسك خندقًا .. لا بد أن يكون لك مقام في الصف .. لا بد أن تؤدي دورك بكفاءة وسوف يفتح لك من أبواب الخير ما هو مغلق الآن وتقدر غدًا على ما لا تستطيعه اليوم فالعبد إذا عمل بما يقدر عليه رزقه الله القدرة على ما يعجز عنه ، وهذا أمر في غاية الأهمية أن نعمل واجب الوقت ونبذل

عبد الدينار وعبد الدرهم ..... » .

من أجله أقصى الجهد .. فهذا يفتح علينا أبواب الخير .

لماذا يكون الطريق مسدودًا لدى الكثيرين ، لأنهم دائمًا يرون الطريق من نهايته ، يعني أنهم يبحثون عن نهاية الطريق ، فإذا سرت في طريق وأنت ناظر إلى نهايته فماذا ترى ؟ تجد أن الطريق كلما تقدم فيه المار ضاق عليه ، وربما لا ترى نهايته أصلًا ، فلماذا ؟ لأنك لا تسير عليه ، لكنك لو سرت عليه فعليًا لوجدت أن الطريق كما هو واسع الآن فهو يتسع حتى نهايته التي تكون معروفة بإذن الله ويكون واضح المعالم ، لماذا لم يصل المسلمون إلى آخر السُلَّم ؟ هذا نتيجة أنهم لم يصعدوا الدرجة الأولى من السلم ، فكيف يصلون إلى الدرجة العليا ؟!

فإذا صعدنا درجة درجة ، فعلنا ما علينا فعله اليوم ، والله يُقْدِرُنا بإذنه تعالى على غيره وهذا في العلم أيضًا ، كما قال ﷻ : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] فالإنسان عندما يعمل بما علم ، سوف يُفتح له من أبواب

الخير ما لا يقع بباله ، وسوف يعلم من الهدى ما لا يدركه الآن ، كما قال السلف : من عمل بما علم رزقه الله علم ما لم يعلم ، فلا بد أن نسير بهذا على قدر الإمكان ، ونفعل كل ما في وسعنا لإصلاح أنفسنا من فعل الحق والتواصي به لكي يكون كل واحد منا لبنة في البناء ، ولو توهمنا بنيانًا على غير أساس وهو غير مرصوص ولا مشدود لتوهمنا بنيانًا لا يسكنه الساكنون .. أما الصرح المشيد الصاعد في السماء فذلك البنيان المرصوص وذلك الحصن الحصين ، فيجب أن يسعى كل منا لأن يكون رجلًا صالحًا ، صالحًا في الاعتقاد والعبادة والعمل والسلوك والأخلاق ، وكذلك الداعي إلى الله ﷻ عليه أن يلتزم بالحلال ويجتنب الحرام ، ثم يرتبط بإخوانه برابطة الأخوة والحب في الله ، بعيدًا عن الضغائن والأحقاد .

فرابطة الأخوة الإيمانية أمر يجب أن نسعى لإيجاده فيما بيننا ، تبحث عما يقربك من إخوانك ، وتحرص عليه

وتجتنب ما يضرهم ويحزنهم ، فالمسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ولا يظلمه ولا يسلمه ولا يغضبه ولا يحزنه كما جاءت به الأخبار ، وأصل ذلك كما ذكرنا هو صلاح القلب لأن القلب إذا صلح صلح معه الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله [1] .

فلا غنى أبدًا ولا بديل عن تكوين الرابطة الإيمانية التي تربط بين اللبنات الصالحة التي تجتمع لتؤدي وظيفة واحدة ، ولا بد من وجود أعمدة ، ولا بد من وجود من يحيطون بالإسلام من جوانبه المختلفة يحفظونه ويقومون بأمره ، ولا بد من وجود من يؤدون فروض الكفاية عن الأمة الإسلامية ، قال ﷻ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ

(١) كما قال النبي ﷺ : « ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » رواه البخاري ومسلم .

يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢] .

إذا كنا نسير في هذا الطريق ، فهذا يؤهلنا أن نكون ممن يعمل من أجل الإسلام صدقًا ويسير على الطريق فعلًا ويكون جزءًا من البناء ، ويكون خطوة من خطا المسير ، وأما إذا فقدنا أنفسنا ، أو نظرنا إليها بعين الإعجاب أو باستكثار العمل أو أن العمل متوقف علينا ، فهل يَتوقف العمل للدين على أحد ؟! أبدًا بل يستمر بفضل الله ﷻ ، لو فقدنا أنفسنا في إخلاصنا ، أو في سلوكنا أو في عبادتنا أو في التزامنا بالحلال والحرام ، وفقدنا الروابط التي تربط بيننا ، ولو كانت الشحناء دائمًا هي السمة الأساسية للتعامل فلن يصلح هذا البناء ، وسوف يترك البنَّاؤون هذه اللبنات كلها ويبحثون عن غيرها وربما هدموا هذا البناء طالما أن اللبنات تفقد الترابط فيما بينها ، فإذا ولى هؤلاء أقبل آخرون ممن تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وهم الذين يحملون همَّ الإسلام ويعملون من أجله .. من أجل

نصرته وإعلاء كلمة الله ﷻ في الأرض .

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا لما يحب ويرضى وأن يجعلنا من عباده المخلصين .



الشركة الفنية للطباعة
ت: 7771039 القاهرة